

## من وصية الإمام الصادق (ع) لصاحبه النجيب زيد الشّّحام



من جملة ما أوصى به الإمام جعفر الصادق (ع) صاحبه النجيب زيد الشّّحام: «أَقْرَأْ مِنْ تَرَى أَنَّهُ يُطِيعُنِي مِنْكُمْ وَيَأْخُذُ بِقُولِي السَّلَامُ، وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوِيَّةِ عَزٌّ وَجَلٌّ وَالْوَرْعِ فِي دِينِكُمْ، وَالاجْتِهادِ، وَصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَطُولِ السُّجُودِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، فِيهَا جَاءَ مُحَمَّدٌ (ص). أَدْوَافُ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنْ أَتَتْمَنَّكُمْ عَلَيْهَا بِرًاً أَوْ فَاجِرًاً، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَأْمُرُ بِأَدَاءِ الْخِيطِ وَالْمُخْبِطِ، صَلَوَاتُهُمْ، وَاشْهَدُوْنَاهُمْ مَرْضَاهُمْ، وَأَدْوَاهُمْ حَقْوَهُمْ، إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا وَرَعَ فِي دِينِهِ وَصَدَقَ الْحَدِيثَ وَأَدَى الْأَمَانَةَ وَحَسْنَتْ خُلُقَهُ مَعَ النَّاسِ قِيلَ: هَذَا جَعْفُرٌ، وَيُسْرُنِي ذَلِكُ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ السُّرُورُ، وَقِيلَ: هَذَا أَدْبُ جَعْفُرٍ، وَإِذَا كَانَ غَيْرُ ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْهِ بَلَاؤُهُ وَعَارُوهُ وَقِيلَ: هَذَا أَدْبُ جَعْفُرٍ، فَوَاهُ لِحَدِيثِنِي أَبِي أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ مِنْ شَيْعَةِ عَلِيٍّ (ع) فَيَكُونُ زَيْنَهَا، أَدَاهُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَقْصَاهُمْ لِلْحُقُوقِ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْحَدِيثِ، إِلَيْهِ وَصَايَاهُمْ وَوَدَائِهِمْ، تُسَالُ الْعَشِيرَةُ عَنْهُ، وَيَقُولُونَ: مَنْ مِثْلُ فَلَانَ؟ إِنَّهُ أَدْبُ اَنَا لِلْأَمَانَةِ، وَأَصْدَقْنَا لِلْحَدِيثِ».

تكتسب أي وصية أهميتها الخاصة من سببين: الشخص الموصي، ومضمون الوصية، وقد يُسْهِم سببُ ثالث في هذه الأهمية، هو الشخص الموصي إليه. الموصي، فهو أمين الله في أرضه الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، وقد كانت مضمون وصاياه لشياعته ومواليه أن يتقووا الله تعالى، ويكونوا القدوة الصالحة والأسوة في السلوك بين المسلمين، من أجل المحافظة على الإسلام المحمدي الأصيل وبالتالي المحافظة على كيان الأمة. هذا من ناحية، وهداية الناس إلى طريق الحق من ناحية أخرى، وقد التزم أتباع أهل البيت (ع) هذه التوصيات التي تُعد من غُرر مكارم الأخلاق، وطبقوها من موقع القوة والقدرة، كما التزموا بها في مواضع المضعف والمطاردة، ولذلك لم يُعرف عن شيعة أهل البيت (ع) أنهم مارسوا عمليات القمع والاستئصال ضد أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى حتى في الحالات التي كانوا يُمسكون فيها بأزمة الأمور، وإنما كانوا دائمًا يتمسكون بنهج الدفاع عن النفس عندما يتعرّضون للعدوان في أشد الحالات، وقد يتمسكون بالصبر والسكوت.

من الملاحظ في هذه الوصية أن الإمام الصادق (ع) ابتدأها بقوله لصاحبه زيد الشّّحام: «أَقْرَأْ مِنْ تَرَى أَنَّهُ يُطِيعُنِي مِنْكُمْ وَيَأْخُذُ بِقُولِي السَّلَامُ» أي: بلـغ السلام يعني أصحاب الطاعة في سلوكهم التبعين

لنا بالقول والفعل، وبذلك يؤكد الإمام (ع) أن التشيع لهم وموالاتهم ليس مجرد محبة تُدعى بل هو طاعة لهم فيما يأمورون، لأن طاعتهم طاعة لرسول الله (ص)، وطاعة رسول الله طاعة لله عز وجل، فمن التزم ذلك، فهو لهم ولهم، ويستحق أن يُبلاّغ السلام من الإمام جعفر الصادق (ع)، وأما من كان الله عاصياً ومخالفاً، فهو لهم عدو، حتى لو ادعى مشايعتهم، وحاول أن يُصوّر للناس أن محرك دمحبتهم وممارسة بعض الأعمال البسيطة، كفيل بغفران ذنوبهم، وكان من نتاج دعواه الباطلة أن شجاع الكثير من الموالين على التساهل في أمور الدين، وغرر بهم وأوقعهم في متاهات لا نهاية لها، وأبعدهم كلّاً بعد عن أهداف الأئمة المعصومين (ع).